

حسّان الدعوة الإسلامية في الجزائر

الشيخ أحمد سحنون

ملاحظة أولية:

-شخّ المعلومات بالنسبة لأعلام الدعوة في الجزائر، والسبب زهد من هؤلاء الأعلام في كتابة مذكراتهم، وتقصير من حولهم من تلامذتهم في الكتابة عنهم، ونحن بحاجة إلى عمل نواصل به ما بدأه محمد علي دبوز رحمه الله في كتابه "أعلام الإصلاح في الجزائر".

الشيخ أحمد سحنون الشاعر:

لن أقدم ترجمة مفصلة عن الشيخ أحمد سحنون، بل أركّز على بعض العوامل التي نمتّ فيه الإيمان بالإسلام، وصقلت موهبته

الأدبية والشعرية، وجعلت منه لسانا بليغا
للدعوة الإسلامية في الجزائر.

وهي بحسب تتبعي لنشأته وتعليمه أربعة
عوامل: الأسرة (أمّا وأبا)، حفظ القرآن،
التشبع بالثقافة الإسلامية، الشغف بالقراءة
في كتب الأدب.

-الأسرة:

-ولد الشيخ أحمد سحنون سنة 1907م
ببلدة ليشانة ضواحي مدينة بسكرة،
-فقد أمّه وهو رضيع: ولا شك أن لهذا الأمر
أثره، لأن المحروم من حنان الأمّ يقدرّ حاجة
كلّ محروم إلى الحنان والرحمة، ويطبع هذا
نفسه بحاسة شاعرية قد تكون زائدة عن

الحاسة التي نبجدها عند غيره ممن لم يحرم حنان
الأم.

- دور والده في تربيته، فقد كان والده من أهل
القرآن، حافظا للقرآن الكريم، ومعلّما له،
وكان من الحريصين على التهجد بالقرآن
الكريم في ليله، طمعا في أن ينال شيئا من
الحمد غدا يوم القيامة عند ربّه، وهو يحفظ
قول ربّه لرسوله: {ومن الليل فتهجد به نافلة
له عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا}.

يذكر عنه ابنه أحمد أنه كان يتحسّر ويتألّم
ويذرف الدموع حين تفوته لحظات القيام في
ليله، قال الشيخ أحمد سحنون يشهد لأبيه: "ذات
مرّة استيقظت من النّوم ووجدتُ أبي
يبكي، فلمّا سألته عن السبب وبعد إلحاح،

أجاب أنّه نام حتى أدركه الفجر، ولم يؤدّ ركعات القيام".

ولا شك أنّه كان لهذا الموقف أثر عميق في نفس وقلب أحمد سحنون، تعلّم منه معنى أن يكون المسلم حاملا لكتاب الله في صدره، وحقّ له أن يفاخر به فيقول فيه شعرا:

أنا ابن الذي يبكي إذا طلع الفجر
ولم يكن أدّى ما به يعظم الأجر

- حفظ القرآن:

- حفظ القرآن الكريم ولم يتجاوز عمره اثنتي عشرة سنة، والقرآن الكريم كلام الله سبحانه، الذي أحاط بكل شيء علما، ولغته لغة معجزة، عجز العرب المتباهون بالفصاحة أن يأتوا بمثل أقصر سورة منه، ولا شكّ أنّه كان

لحفظ هذا الكتاب العظيم أثره في كل جوانب شخصية الشيخ أحمد سنون: العقلية والروحية والنفسية والعلمية والأدبية اللغوية.

ولا بأس أن نذكر ما سجّله الأستاذ محمد الصالح الصديق في مذكراته، حيث ذكر أنه كان في صحبة أبيه والتقى الشيخ عبد الحميد بن باديس، وأخبر والده ابن باديس بأن ابنه الصغير حافظ للقرآن الكريم، فسّر الإمام بالخبر، ووضع يده فوق رأس الابن وقرأ قول الله تعالى: { وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا } . النساء 113 .

لا يمكن أن أمر دون أن أقف عند هذا العامل العظيم ودوره في نجاحنا في فهم ديننا

وتقوية صلتنا برّبنا والتزام ديننا، ثم في حسن دعوتنا إلى هذا الدين العظيم، وإعطاء صورة مشرقة عنه لمن حولنا من الناس.

-التشبع بالثقافة الإسلامية:

-تلقى الشيخ أحمد سحنون مبادئ العربية والثقافة الإسلامية على مجموعة من الأساتذة والمشايخ منهم: الشيخ محمد خير الدين، والشيخ محمد الدراجي، والشيخ عبد الله بن المبارك.

-ثمّ اعتمد على نفسه في توسيع وتعميق ثقافته الإسلامية من خلال القراءة لأعلام الثقافة الإسلامية في التفسير والحديث والعقيدة والفقہ والأخلاق الإسلامية، وكان

يقراً في كل الظروف، ويتابع كل جديد يصدر
في الثقافة الإسلامية.

وعلى خلاف كثير من المتعلمين التقليديين
الذين كان جلّ تركيزهم في تعلّمهم على
التراثيات، فقد كان الشيخ أحمد سحنون يقرأ
ما يكتبه بعض الكتاب المعاصرين بأسلوب
متميّز من أمثال سيد قطب رحمه، الذي كان
له شغف بكتبه، فهو يذكر عن نفسه أنّه كان
يقراً تفسيره في ظلال القرآن وهو في السجن،
يقول رحمه الله: " كان الظلال يخرج من
السجن في مصر ويدخل السجن في الجزائر".

-الشغف بالقراءة لكتب الأدب:

- كان له رحمه الله شغف كبير بقراءة كتب
اللغة والأدب: شعرا ونثرا، قصة ورواية، وهو

ما نَمَى فيه ملكة اللغة والقدرة على التعبير عن معانيه بلغة فصيحة بليغة، ونَمَى فيه كذلك القدرة على نظم الشعر.

يذكر رحمه الله توجيهها قدّمه له الإمام عبد الحميد بن باديس رحمه الله حين التقى به لأول مرّة سنة 1936، وسأله عن قراءاته، فذكر له شغفه بقراءة القصص والروايات، فأرشده الإمام رحمه الله إلى القراءة في مصادر الأدب، فانتفع بهذا التوجيه وكان له دور كبير في صقل ملكته الأدبية، قال الشيخ أحمد سحنون: " جمعني به أول مجلس فبادرني بسؤاله: ماذا طالعت من الكتب؟، فأخذت أسرد له -لسوء حظي أو لحسنه- قائمة حافلة بمختلف القصص والروايات، فنظر إلي

نظرة عاتبة غاضبة وقال: هلا طالعت العقد
الفريد لابن عبد ربه، هلا طالعت
الكامل للمبرد بشرح المرصفي، واستمر في
سرد قائمة من الكتب النافعة المكوّنة، فكانت
تلك الكلمة القيمة خير توجيه لي في هذا
الباب".

وكغيره من المتعلّمين العرب والمسلمين في تلك
الفترة كان يقرأ لمن ذاع صيتهم من أدباء
المشرق من أمثال عباس محمود العقاد وأحمد
الزيات وأحمد أمين وزكي مبارك، وكان مولعا
بالقراءة لأديب الإسلام مصطفى صادق
الرافعي.

-البعد الدعوي الإصلاحي في شعر
الشيخ أحمد سحنون:

- كان رحمه الله يرى الشعر وسيلة للدعوة والإصلاح، وسلاحاً لمنافحة الباطل وردّ مكائد أهله، لا مجرد تحليق في عالم الألفاظ والعبارات، وتكلف في النظم والتشبيهاً.

- فهو يقول في مقدمة كتابه "دراسات وتوجيهات إسلامية": "...لقد كانت معركة وكانت جنود وكانت أسلحة، وكان جنود هذه المعركة العلماء والمعلمين والطلاب، وكانت الأسلحة هي المقالة والقصيدة والنشيد والخطبة والدرس، كما كان من الأسلحة الإيمان بالله وبحقّ الشعب والحماس لهذا الحقّ والغيرة عليه والحقّ المتأجج في صدر كلّ مسلم على كلّ ما هو أجنبي ودخيل من الأشخاص والمبادئ والعادات والمذاهب".

-وكان يرى أن الشعر وغيره من الأسلحة لا
ينفع في ميدان الدعوة والإصلاح ومقارعة
أهل الباطل إلا إذا كان الجندي الحامل
للسلاح صادقا وله حظ من الاستقامة
والخلق، قال رحمه الله: "فليست الدعوة إلى الله
... كلاما مجردا عاديا يستطيع أن يملأ به
شذقه كل من لا حظ له من دين أو خلق،
ولا خلاق له من إيمان أو استقامة، إنما هي
كفاح مرير ينبغي أن لا يخوض غماره إلا من
تسلح له بسعة الصدر ولين القول واستقامة
السيرة وبلاغة المنطق وقوة الحججة".

-كما كان رحمه الله يرى في الشعر قوة في
التأثير، وقدرة على التغيير، تضاهي قدرة الثورة
على تغيير الأوضاع، ونقلها من حال إلى

حال آخر، قال رحمه في كلمة بليغة: " فما
الشعر إلا ثورة غير أنّها تصول بلا كفّ
وتسعى بلا رجل".

-و حين توقف الشاعر محمد العيد آل خليفة
رحمه عن قول الشعر، و حاول بعض
المصلحين معه ليرجع أبي، فكتب الشيخ
أحمد سحنون قصيدة يذكره فيها بدور شعره
في الدعوة إلى الإصلاح والمنافحة عن الجزائر،
ودعاه فيها إلى العودة إلى ميدان المعركة، ومما
جاء في القصيدة التي كتبها:

قد خلت من صدك أندية

الشعر وملء الوجود صدك

عجبا تستبيح صمتك يوما

ويد البغي تستبيح حماك

أيطيب السكوت والضاد في

شدة أسر لم تلق منه فكاكا

إذا طاف بالجزائر ما حرّك

حتى الجماد طاب كراك

-استعانة الشيخ سحنون بالله سبحانه أن

يجعل في شعره من القوة في معانيه والبلاغة

في أسلوبه ما يجعله قادرا على التأثير

والإصلاح، قال رحمه الله في قصيدة افتتح

ديوانه جعلها بعنوان "ابتهال"

يا ملهما لروائع الشعر

يا موحيا بخوالد الفكر

يا مودع الإعجاز في الذكر

يا مبدع الرهبة في البحر

يا موجد البسمة في الفجر

يا خالق الفتنة في الثغر
هب لي خيال الشاعر الحرّ
وقوة التحليق كالنسر
وقدرة الغوص على الدرّ
لعلني أظفر بالسر

- كان شعره رحمه مرآة عاكسة لأهمّ القضايا
في عصره، أدّى به واجب الشاعر الشاهد في
هذه القضايا، واخترت أن أقف عند
قصيدتين، إحداهما في رثاء لشهيد الفكرة
سيّد قطب رحمه الله، والثانية ألقاها في
الذكرى الثانية لوفاة العلامة محمد البشير
الإبراهيمي.

يقول في القصيدة الأولى:

ما ذا جنى قطب؟

ألمّ بنا من فاجع الهمّ ما جلا
وحلّ بنا من فادح الظلم ما حلا
وأصبح مرمى للأذى كلّ مؤمن
وذللّ من الأحرار من لم يكن ذلا
وديست كرامات الرجال وأزهقت
نفوس لها الصف الأمامي في الجلى
وأصبح حكام البلاد شرارها
إذا ما تولوا أهلکوا الحرث والنسلا
وعاث فسادا كلّ من نال رتبة
وحدّ عن الإسلام من لم يحد قبلا
أيقتل قطب أي خطب منزل
وأیّ مصاب حلّ بالأمة الثکلی
أیعدم قطب کیف یقبل مسلم

بأن يفقد الإسلام قائده الأعلى
أتشنق مصر خير أبنائها حجي
وتقوى وأخلاقا فما أفضع القتلا
أتحنق مصر مجدها وتدوسه
لقد عدمت مصر الكياسة والعقلا
وماذا جنى قطب لتزهق روحه ويشنق
أين العدل؟ قد شنقوا العدل
وما ذنب قطب غير إيقاظ قومه
ونشر تعاليم الحنيفية المثلى
لقد فقد الإسلام خير رجاله
ومن لم نجد بين الدعاة له مثلا

ويقول في الثانية:

تبّا لدنيا ترفع الأندال

وتحارب العظماء والأبطالاً
وثبارك المتلونين وتحتفي
بالخائنين وتكرم الجهالاً
وتسوم أهل الفضل جحد
جهودهم وجهادهم وتخيّب الآمالاً
النبيل فيها مهدر ومطارد
والعدل أبعد ما يكون منالاً
وعلى الهوان بها أقام ذوو النهي
لم يلق ذو أدب بها إقبالاً
يا ويح حظ المسلمين أكلماً
بان النجاح لهم يؤول خبالاً
-وأختم بأبيات قالها الشاعر أحمد سحنون
رحمه الله عبّر بها عن شوقه إلى الالتحاق
برفاقه وإخوانه في الدار الآخرة بعد أن طال

عمره وكثرت علله وأمراضه، ورأى نفسه غير
قادر لتقديم أي عمل نافع لأُمَّته، قال رحمه
الله لأحد تلاميذه: " مررت في طريقي إلى
المسجد بالنعش رابضاً في أحد الأركان مثل
المركب الواقف عند الشاطئ ينتظر المسافرين،
فتوقفت أمامه متأملاً لأجد نفسي أحاطبه
بهاته الأبيات:

أيا نعش يا مركب الراحلين إلى القبر

هل حان يوم الرحيل؟

فإني تخلفت عن رفقتي

فهل للحاق بهم سبيل؟

وصرت غريباً بغير رفيق

وقلبي كئيب وجسمي عليل

-رحم الله الشيخ أحمد سحنون رحمه، وجزاه
الله خيرا على ما قدّم للدعوة الإسلامية،
بشعره وخطبه وكتاباته، وأوجه دعوة لنفسي
وللباحثين في مجال الدعوة من إخواني
الأساتذة والطلبة أن نلتفت إلى هذا التراث
العظيم لأعلامنا لنخرج ما فيه من كنوز
دعوية، ليستفيد منها مجتمعنا والمجتمعات
الإنسانية من حولنا..